سلسلة نُبَذ (٢١)

عظات روحية

ربنا موجود

بقلم

البابا شنوده الثالث

الطبعة الأولى

٢٠٢١

قداسة البابا تواضروس الثاني

بابا الإسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية الـ١١٨

قداسة البابا شنوده الثالث

بابا الإسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية الـ ١١٧

ربنا موجود[1]

تكلَّمنا عن أنه عند مواجهتنا للمشاكل نذكر ثلاث عبارات هي: **ربنا موجود، كله للخير، ومصيرها تنتهي**. وسنتكلم عن عبارة "**ربنا موجود**".

في السماء وعلى الأرض

نقطة مهمه في وجود الله، أن ربنا ليس موجودًا في السماء فقط، بل هو موجود أيضًا على الأرض. جميع الناس عندما يتذكَّرون ربنا يرفعون نظرهم إلى فوق للسماء، مع أنه موجود معهم على الأرض أيضًا.

هو موجود على الأرض، يعمل في الأرض، ويعمل معنا، ويعمل بنا، وقد قال لنا: "وَهَا أَنَا مَعَكُمْ كُلَّ الأَيَّامِ إِلَى انْقِضَاءِ الدَّهْرِ"

[1] عظتان لقداسة البابا شنوده الثالث بتاريخ ٢٢ ديسمبر ٢٠٠٤م و١٠ نوفمبر ٢٠١٠م

(مت٢٨: ٢٠). فهو ليس معنا في السماء فقط، بل معنا الآن. فقد قال أيضًا: "لأَنَّهُ حَيْثُمَا اجْتَمَعَ اثْنَانِ أَوْ ثَلاَثَةٌ بِاسْمِي فَهُنَاكَ أَكُونُ فِي وَسَطِهِمْ" (مت ١٨: ٢٠)

عارف أعمالنا

أيضًا ربنا موجود يسمع.. ويرى.. ويراقب.. ويقول لكل إنسان: "أنا عارف أعمالك". لا تظن أنك تستطيع أن تخبئ شيء عن ربنا، وإلاّ فأنت لا تؤمن أن الله موجود. يقول: "لِذَلِكَ كُلُّ مَا قُلْتُمُوهُ فِي الظُّلْمَةِ يُسْمَعُ فِي النُّورِ وَمَا كَلَّمْتُمْ بِهِ الأُذُنَ فِي الْمَخَادِعِ يُنَادَى بِهِ عَلَى السُّطُوحِ" (لو١٢: ٣). فكل شيء مكشوف ومُعلَن أمام الله.

ربنا ليس فقط يرى ويعرف، وإنما أيضًا يكتب...

أمامه سفر تَذكِرة بكل الذي حدث، سفر أعمال يُكتب. ربنا يقول لراعي كنيسة أفسس: "أَنَا عَارِفٌ أَعْمَالَكَ وَتَعَبَكَ وَصَبْرَكَ.. وَتَعِبْتَ مِنْ أَجْلِ اسْمِي وَلَمْ تَكِلَّ" (رؤ٢: ٢، ٣).

نحن في حفظه

وعندما نقول **ربنا موجود** نقصـــد أيضًـــا أن ربنا هو **الحافظ والمعين**، ونرتل دائمًا في المزمور، "الرَّبُّ يَحْفَظُكَ مِنْ كُلِّ شَـــرٍّ يَحْفَظُ نَفْسَكَ. الرَّبُّ يَحْفَظُ خُرُوجَكَ وَدُخُولَكَ مِنَ الآنَ وَإِلَى الدَّهْرِ" (مز ١٢١: ٧، ٨). هذه عبارة يقولها الملاك الحارس لكل إنسان وهو يصلي فيتعزى، ويهدئ، ويُطمْئِن نفسه أن الرب يحفظه.

ربنا قال ليعقوب: "وَهَا أَنَا مَعَكَ وَأَحْفَظُكَ حَيْثُمَا تَذْهَبُ وَأَرُدُّكَ إِلَى هَذِهِ الأَرْضِ لأَنِّي لاَ أَتْرُكُكَ حَتَّى أَفْعَلَ مَا كَلَّمْتُكَ بِهِ" (تك ٢٨: ١٥).

نحن نؤمن أن الله حافظ، يحفظنا من الشـــيطان، ويحفظنا من الخطايا، ويحفظنا من التجارب...

حفظ أثناســـيوس عندما تعرض للنفي أربع مرات، وحفظ يوحنا الرسول وهو في جزيرة بطمُس وظهر له وأراه رؤى كثيرة.

إننا نتعب جدًا إن نسينا أن ربنا هو الحافظ.

كما أننا نقول أيضًا "حافظ الأطفال هو الرب". إن تاريخ الله معنا في الحفظ هو تاريخٌ طويل لن ننســـاه، يا ليت كل واحد يجلس

إلى نفسه ويتذكَّر كم من المرات ربنا حفظه فيها.

المهتمُّ بنا

حينما نقول: "**ربنا موجود**" نتذكَّر أن ربنا هو المهتمُّ بالكل **فهو "مُريح التعابى"**.. تلك الصفة الجميلة في عِشـــرتنا مع الله الذي نؤمن بوجوده. ونتذكَّر قولـه: "تَعَـالَوْا إِلَيَّ يَـا جَمِيعَ الْمُتْعَبِينَ وَالثَّقِيلِي الأَحْمَـالِ وَأَنَا أُرِيحُكُمْ" (مت١١: ٢٨). ونتذكَّر أيضًـــا أن الله هو **حلاّل المشـــاكل**، لا توجد مشكلة إلا ولها حلٌ عند الله،

ولا يوجد بابٌ مغلق إلا وله مفتاحٌ عند الله أو عدة مفاتيح، لذلك يقول الكتاب: "أَلْقِ عَلَى الرَّبِّ هَمَّكَ فَهُوَ يَعُولُكَ. لاَ يَدَعُ الصِّدِّيقَ يَتَزَعْزَعُ إِلَى الأَبَدِ" (مز٥٥: ٢٢).

الله هو **المهتمُّ بالكل**، يهتمّ بالحيوان، ويهتمّ بالإنســـان، ويهتمّ

بالطير، يهتمّ حتى بالدودة التي تسعى تحت حجر، هو المُعطي البهائم طعامها ولفراخ الغربان التي تدعوه، حتى العصافير.

الحنون العطوف

عندما نقول **ربنا موجود** لا ننسى حُنوّ الله ولا ننسى عطفه ولا ننسى محبته، إن كان يحنو على الطيور وعلى الحشرات فكم بالأولى يحنو على الإنسان أيضًا، الله من حُنوه على الإنسان أعطاه العقل والروح والإرادة، وأعطاه الضمير، وأعطاه الوحي، ووعده بالحياة الأبدية... أعطاه البركة وأعطاه الحفظ، وأعطاه فوق ما يطلب وأعطاه ما لم يطلب حتى..!

ونحن نصلّي من أجل هذا في كل ليلة، ونقول: "أحطنا بملائكتك القديسين لكي نكون بمعسكرهم محفوظين ومرشَدين"، ونصلّي بذلك في كل نهارٍ أيضًا. ونؤمن بالملاك الحارس الذي يحرس كل إنسان، وعلاقتنا مع الملائكة علاقة دائمة، نعيّد لهم ونحتفل بهم.

معنا في الضيقة

أيضًـــا عندما نقول: "**ربنا موجود**"، نؤمن بأن الرب موجود معنا في الضـــيقة، موجود عند البحر الأحمر أمام الشـــعب الخائف، وموجود مع داود أمام جُليات الجبار، وأيضًا ربنا كان موجود مع الزلطة التي رماها داود، بحيث سارت الزلطة وربنا معها وجاءت في المكان المظبوط الذي يميت!

ربنا موجود في كل شيء..

لذلك أولاد الله لا يخافون أبدًا، وما دمت شـــاعر أن ربنا موجود يبقى لا تخف أبدًا.. لأن ربنا يقول: "لا تخف لأني معك". داود النبي يقول: "اَلرَّبُّ نُورِي وَخَلاَصِـــي مِمَّنْ أَخَافُ؟ الرَّبُّ حِصْـــنُ حَيَـاتِي مِمَّنْ أَرْتَعِـبُ؟ إِنْ نَزَلَ عَلَيَّ جَيْشٌ لاَ يَخَـافُ قَلْبِي. إِنْ قَامَتْ عَلَيَّ حَرْبٌ فَفِي ذَلِكَ أَنَا مُطْمَئِنٌّ" (مز٢٧: ١، ٣).

هذه كلها وعودٌ معزّية..

لـذلـك داود النبي يقول: "عِنْدَ كَثْرَةِ هُمُومِي فِي دَاخِلِي تَعْزِيَـاتُكَ تُلَذِّذُ نَفْسِـــي" (مز٩٤: ١٩).. يقول "تُلذِّذ".. فالذي يؤمن بوجود الله، يؤمن بحماية الله. لهذا قال داود: "لأَنَّهُ لاَ تَسْـــتَقِرُّ عَصَـــا

الأَشْرَارِ عَلَى نَصِيبِ الصِّدِّيقِينَ" (مز١٢٥: ٣).

يعطي قوة

الذي يؤمن بوجود الله يؤمن بقوة الله، ويؤمن بأن ما دام الله معنا فمن علينا. يؤمن بقوة الله وعمل الله واشتراك الله في العمل معه. **داود** كان شابٌ صغيرًا يرعى الغنمَ، هجمَ عليه دُبٌ وأسد! مَن يقدر على الدُب والأسد؟!! لكن ربنا أعطاه قوة عجيبة خلَّصته منهما هما الاثنين. فتى صغير، أشقر مع حلاوة في العينين، لكن استطاع أن يتخلَّص من الدب والأسد، لأن قوة الله كانت معه.

أنت أيضًا يا أخي تأتيك قوة من الله حتى دون أن تطلب.

دون أن نطلب

أثناء مذلة الشعب من فرعون لم يطلبوا، لم يُصَلّوا، لكن ربنا نظر إليهم وقال: "إِنِّي قَدْ رَأَيْتُ مَذَلَّةَ شَعْبِي الَّذِي فِي مِصْرَ.. فَنَزَلْتُ لأُنْقِذَهُمْ مِنْ أَيْدِي المصريين" (خر٣: ٧، ٨)

نرى مثلاً آخر، أبونا إبراهيم وزوجته ســـارة.. كانت امرأة جميلة جدًا، في الثمانين من عُمرها وعندما نزلوا إلى جرار، اشـــتهاها أبيمالك، ملك جرار (يا أبيمالك هذه عجوز، عمرها ٨٠ ســـنة)، قال: لا مانع، كُلها جمال – ماذا يســـتطيع إبراهيم أن يفعل في هذا الأمر... ربنا كلم أبيمالك ومنعه عن أن يمسَّـــها، فأرجعها، لم يكن إبراهيم قد صـلّى ولا سـارة صـلَّت، لكن ربنا يُحامي عن الناس دون أن يطلبوا.

ربنا يعمل من أجلنا من ثلاثة محاور:

أ) يعمل بنعمته..

ب) ويعمل بروحه القدوس.

ج) ويعمل من خلال خدمة ملائكته.

أ) من جهة نعمته نجد الرســـول يقول: "النعمة المُعطاة لي".. النعمة العاملة معي، وأنا بدون نعمتهِ لســـتُ شـــيئًا.. ربنا يعمل بنعمته.

ب) ويعمـل بروحـه القدوس، الروح القدوس الذي يُبكِّت على الخطية، والذي يُرشد إلى كُل الحق ويعمل لأجل خلاصنا.

ج) ويعمـل بملائكتـه، لأن الكتـاب يقول عن هؤلاء الملائكـة:

"أَلَيْسَ جَمِيعُهُمْ أَرْوَاحاً خَادِمَةً مُرْسَـــلَةً لِلْخِدْمَةِ لأَجْلِ الْعَتِيدِينَ أَنْ يَرِثُوا الْخَلاَصَ!" (عب١: ١٤)

بل يعمل أيضًا في الخدمة، بولس الرسول يقول عن خدمته هو وأبلوس: "أَنَا غَرَسْتُ وَأَبُلُّوسُ سَقَى لَكِنَّ اللهَ كَانَ يُنْمِي (١كو٣ : ٦). وفي **الكلام** يقول: "لأَنْ لَسْـــتُمْ أَنْتُمُ الْمُتَكَلِّمِينَ بَلْ رُوحُ أَبِيكُمُ الَّذِي يَتَكَلَّمُ فِيكُمْ" (مت١٠: ٢٠).

لذلك أحب أن نثق جميعًا في روح الله العامل معنا، ونثق أن ربنا موجود.

ربنا موجود في التجارب

لعل البعض يقول إذا كان الله بهذا الشـكل وأن الله موجود، والله هو الراعي، وهو الحـافظ، وهو المُعين، وهو الرازق، وهو المعطي..

فلماذا إذًا التجارب؟

الله يســمح بالتجارب لفائدتها والكتاب يقول لنا: "اِحْسِـبُوهُ كُلَّ فَرَحٍ يَا إِخْوَتِي حِينَمَا تَقَعُونَ فِي تَجَارِبَ مُتَنَّوِعَةٍ" (يع١: ٢).

† من فوائد التجارب

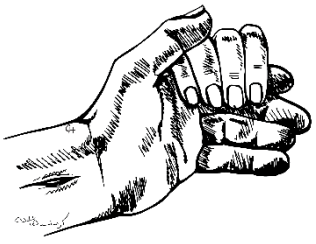

أننا حينما تحلُّ بنا التجربة نناقش أرواحنا من الداخل، ونصطلح مع الله إن كنا بعيدين عنه، ولذلك بالتجارب كان الناس في أصوامهم، في صلواتهم، في تقدُّمهم للتناول يصطلحون مع الله، كما يقول الرب: "ارْجِعُوا إِلَيَّ يَقُولُ رَبُّ الْجُنُودِ فَأَرْجِعَ إِلَيْكُمْ يَقُولُ رَبُّ الْجُنُودِ (زك١: ٣).

† من فوائد التجارب أيضًا أننا نرى بها يد الله وهي تعمل، تعمل معنا ومع غيرنا.

† وفي التجارب نرى الآية التي تقول: "عِنْدَ النَّاسِ غَيْرُ مُسْتَطَاعٍ وَلَكِنْ لَيْسَ عِنْدَ اللَّهِ لأَنَّ كُلَّ شَيْءٍ مُسْتَطَاعٌ عِنْدَ اللَّهِ" (مر١٠: ٢٧).

والله قال لنا عن التجارب إنها في حدود احتمالنا وقال: "لَمْ تُصِبْكُمْ تَجْرِبَةٌ إِلاَّ بَشَرِيَّةٌ. وَلَكِنَّ اللهَ أَمِينٌ الَّذِي لاَ يَدَعُكُمْ تُجَرَّبُونَ فَوْقَ مَا تَسْتَطِيعُونَ بَلْ سَيَجْعَلُ مَعَ التَّجْرِبَةِ أَيْضًا الْمَنْفَذَ

لِتَسْـــتَطِيعُوا أَنْ تَحْتَمِلُوا" (١كو١٠: ١٣). فهو يعطي التجربة ويعطي معها المنفذ.

"ونحن دائمًا نقابل التجربة بسلامٍ قلبي..

طبعًا الأمر يحتاج إلى حكمة في التصرُّف مع وجود السلام في القلب.. وحينما تصـــعُب الحلول أمامنا نُحيل التجربة إلى الله، أو نضـــع الله بيننا وبين التجربة فنرى الله ولا نرى التجربة ونشـــعر أن الله موجودٌ معنا... نترك تجاربنا بين يديه ونؤمن بهذه اليد العطوفة المملوئة حبًا فيزيدنا الأمر إيمانًا أن "ربنا موجود"..

لا أثق بوجود الرب معي[٢]

سؤال: أرجو يا سيدنا أن تحاول إقناعي بأن الرَّب معي في كل حين. ذلك لأني لا أثق بوجوده معي في كل حين.. بالرغم من تعلقي به في كل شيء، حتى وأنا خاطئة فهو معي وينصرني على الخطية. هذا الشك يحكمني روحيًا ونفسيًا كلما خطر ببالي؟

الجواب: صاحبة السؤال قد أجابت بالفعل على السؤال، هذا الشك هو محاربة من الشيطان.

لكن أنت بخير وواثقة في الله.. وهذه محاربة من الشيطان لكي يتعبك.. لكن لا تفكري هكذا، بل قولي: "إن لم يكن الله معي لما قدرت أن أخطو خطوة واحدة، أو أعيش لحظةٍ واحدة، أو أقرأ في الكتاب المقدس أو أقوم بأي عمل روحي".

أيضًا رتلي المزمور الذي يقول: "لَوْلاَ الرَّبُّ الَّذِي كَانَ لَنَا عِنْدَ مَا قَامَ النَّاسُ عَلَيْنَا، إِذًا لاَبْتَلَعُونَا أَحْيَاءً عِنْدَ احْتِمَاءِ غَضَبِهِمْ عَلَيْنَا"

---

[٢] سؤال أجاب عنه قداسة البابا شنوده الثالث في عظة بعنوان "انتظار الرب"، بتاريخ ١٨ يونيو ١٩٨٦م

(مز١٢٤: ٢، ٣).

والمزمور الذي يقول: "إِذَا سِــرْتُ فِي وَادِي ظِلِّ الْمَوْتِ لاَ أَخَافُ شَرًّا، لأَنَّكَ أَنْتَ مَعِي" (مز٢٣: ٤).

والأمور التي تُشـــعرك أن الله غير موجود معكِ أوجدي لها تفسير آخر..

وربما الله معكِ لكن أنتِ التي لستِ معه!! وهذا ما قاله القديس أغسطينوس: "**أنت يا رب كنت معي ولكنني من فرط شقوتي لم أكن معك...**"!

فإحساسك بعدم وجود الله لأنك أنت لستِ معه، وليس لأنه غير موجود معكِ!

أنصـحك أن تقرأي كتاب "الوجود مع الله" يوجد فيه أسـباب عدم الشعور بوجود الله، والناحية الإيجابية والناحية السلبية.